الشهيد القائد .. عنوان القضية

حمير العزكي

تحل علينا الذكرى السنوية لاستشهاد السيد الشهيد القائد حسين بدر الدين الحوثي رضوان الله عليه والذي كان عنوان القضية والمشروع كما قال عنه السيد القائد عبدالملك بن بدرالدين الحوثي حفظه الله "الشهيد القائد عنوان لقضية عادلة ومؤسس ورائد لمشروع عظيم"، بهذه الكلمات اختصر السيد القائد سيرة ومسيرة الشهيد القائد السيد حسين بن بدرالدين الحوثي رضوان الله عليه، السيرة العطرة والمسيرة المباركة .. سيرة الخير والتقوى والزهد والاحسان والخلق الكريم والقلب الرحيم ومسيرة الجهاد والعطاء والفداء والتضحية سيرة المجتهد ومسيرة العلم ... سيرة العزة والكرامة ومسيرة الإباء والشموخ ..سيرة الإنسان ومسيرة القائد .

في هذه الكلمات "الشهيد القائد عنوان لقضية عادلة ومؤسس ورائد لمشروع عظيم" حدد السيد القائد الركيزتين الأساسيتين لحركة الشهيد القائد الجهادية والثورية والإنسانية وأجاب بكل وضوح عن كل التساؤلات التي تثار حول انطلاقة الشهيد القائد بما لا يدع مجالاً للغموض حول ما أراده وما سعى إلى تحقيقه وما ضحى بروحه في سبيله من خلال سيرته الربانية ومسيرته القرآنية، وتتمثل هاتان الركيزتان في القضية العادلة والمشروع القرآني".

لم تكن قضية الشهيد القائد رضوان الله عليه قضية شخصية المنطلقات ولم تقم أيضاً على أسس ذاتية المنشأ أو "أنائية" الاتجاه؛ بل كانت قضية الإنسان في جوهرها الحق وأحقيته بالحياة الكريمة العزيزة، و قضية الإنسان المسلم في منهجها العادل و المعتدل بين التفريط والتطرف، وقضية الإنسان المسلم العربي المشروعة مبادئها بشرعية تاريخه وقيمه وقضية اليمني بكل أبعاد تكوينه الإنساني والإسلامي والعربي.

كما أن مشروع الشهيد القائد رضوان الله عليه لم يكن مشروعاً فئوياً محصوراً على شريحة مجتمعية أو مقصوراً على حزب سياسي أو محدوداً بمنطقة جغرافية أو مقيداً باتجاه فكري أو منساقاً في توجه تاريخي معين، لقد كان مشروعه رضوان الله عليه يحترم التراث الإسلامي ولكنه لا يقدسه، ويستند إلى أصح قواعده ولكنه لا يعبدها، يبدأ خطواته بالعودة إلى المصدر تحاشياً للانشغال بالتفرعات وتجنباً لمتاهات اختلافها ويثري مسيرته بالاغتراف من المعين الصافي والتماس الهدي منه والهدى. ونظراً لضيق الوقت واقتراب موعد الفعالية وأيضا لعظمة هذا المشروع وأهميته سنفرد له بحثاً مستقلاً بإذن الله تعالى و نرجو أن يكون لائقاً به وأن نوفق في ذلك.

أسس ومنطلقات القضية

إن قضية الشهيد القائد تتمثل بالتحرك العملي المسؤول الواعي في مواجهة الأخطار والتحديات الشاملة على منطقتنا من قبل أمريكا وإسرائيل. "هذه القضية العادلة التي ذكرها السيد القائد هي حق كل الشعوب في مواجهة قوى الاستكبار العالمي ومقاومة مشاريعها الاستعمارية في المنطقة والتصدي بحزم لمؤامراتها لتمزيق وتركيع وإذلال الشعوب والوقوف في موقف العزة والكرامة أمام محاولات استهدافها للدين والأمة والأرض.

ولكن لابد لهذه القضية من شعار مرفوع بصوت مسموع يعبر عنها ويحدد أبعادها وآفاقها فكانت الصرخة في وجه المستكبرين الشعار الرسمي لهذه القضية العادلة

الله أكبر

الموت لأمريكا

الموت لإسرائيل

اللعنة على اليهود

النصر للإسلام

ولكي يتحول هذا الشعار إلى واقع كان لابد من ثقافة بعيدة كل البعد عن الثقافات المغلوطة ومنزهة ومطهرة عن ثقافات الانبطاح والانهزام فكانت الثقافة القرآنية المستمدة من

كتاب الله العزيز المحفوظ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. الجامع المشترك الأخير والمتبقي بلا خلاف عليه في هذه الأمة.

أولاً : أسس القضية

لم يكن تحرك الشهيد القائد رضوان الله عليه و الذي مثل محور القضية وبنيت عليه أسسها، تحركاً عابث المقصد أو عابر الأثر؛ بل كان تحركاً واعياً مسؤولاً واضح الرؤية معلوم المبتدأ محتوم المنتهى، فلم يعتمد على الهوى بل على الهدى، ولم يستند إلى الباطل بل إلى الحق، لم يكن تحركاً ناشئاً عن ترف فكري أو قائماً على جدل فلسفي بل كان تحركاً فرضته الضرورة القصوى ودعت إليه الحاجة الماسّة للأمة الإسلامية التي تقف على شفير المواجهة مع أعدائها المتكالبين عليها مكتوفة اليدين مسلوبة القرار مكسورة الإرادة، ثرواتها منتهبة وأراضيها محتلة وحرماتها ومقدساتها منتهكة، وقد تمكن حكامها من تدجينها وتخديرها فاستطاع أعداؤها إخضاعها وتركيعها، فكان التحرك في مواجهة تلك الأخطار خياراً لا مفر منه في إطار القضية المحقة والعادلة والمشروعة.

قضية محقة

لقد كان تحرك الشهيد القائد رضوان الله عليه تحرك الحق في مواجهة الباطل، التحرك في سبيل الله بوجه الطاغوت بكل أسمائه وأشكاله، التحرك في إطار الصراع الأزلي بين الهدى والضلال كامتداد طبيعي للخط الرسالي الذي مضى فيه أنبياء الله ورسله وأولياؤه من أعلام الهدى على مدى حركة التاريخ؛ وذلك بالسعي الحثيث إلى هداية الناس من خلال إيصالهم إلى معرفة الله المعرفة الحقيقية والثقة بالله الثقة اليقينية باعتبار ذلك هو الحق الذي يربط الخلق بالخالق ويجذبهم إليه، وهذا ما عبر عنه الشهيد القائد رضوان الله عليه بقوله : (الله سبحانه وتعالى هو إلهنا ونحن عبيده، ومعنى ذلك أنه وحده الذي له الحق أن يكون له الأمر فينا، والحكم فينا، هو من له الحق أن يشرّع لنا، ويهدينا ويرشدنا، هو من له الحق أن يحكم فينا، هو من له الحق أن يدبر شؤوننا؛ لأننا عبيده، هو من له الحق أن لا يتدخل غيره في شأن من شؤوننا بما يخالف ما يريده – سبحانه وتعالى– لنا ومنا، هو

وحده الذي له الحق أن نطيعه، ونطيع مَنْ طَاعتُه مِنْ طَاعته. هذه القاعدة المهمة، والقاعدة الواسعة هي التي تفصلك عن كل إله في الأرض سواء تمثل في هواك، أو تمثل في إنسان، أو تمثل في أي شيء من هذا العالم).

كما أن الحق في نظر الشهيد القائد ليس مجرد ادعاء؛ بل إيمان يستوجب العمل و انتماء يستدعي المسؤولية التي تفرض التحرك الجاد وفي ذلك يقول الشهيد القائد :(لأننا – في نفس الوقت – نقول: نحن أهل الحق، ونحن من بين أيدينا مبادئ الإسلام وقيمه بشكل صافٍ ونقي لم نتعرض في تاريخنا إلى أن نحمل عقائد باطلة ندين لله بها، فنحن أهل الحق. إذاً فأنت أنت المسؤول الأول عن هذا الحق أن تعلي كلمته، أن تعلي صوته، أن توسع دائرته في هذه الأرض) وبهذا عندما تكون قضيتك محقة فإنها تلزمك تبنيها بل و تضعك في مقدمة صفوف الدفاع عنها.

قضية عادلة

السعي لإقامة العدل من المهام التي يفرضها الانتماء إلى صف الحق ومن الغايات الأسمى التي ينشدها السائرون في دروب الهدى ومن الأهداف التي يضعها الثائرون نصب أعينهم ولأنه لا سبيل لذلك إلا بمواجهة الظالمين الذين يحاولون أن يلبسوا الحق بالباطل ولطالما ظلوا يستضعفون الناس ويظلمونهم؛ كان من مقتضيات العدالة الإلهية أن يرسل الله الرسل ويبعث الأنبياء ويقيض الهداة المصلحين والأعلام المصطفين لحمل راية القضية العادلة والتحرك لإرساء دعائم العدل ونصرة المستضعفين ويتجلى إيمان الشهيد القائد رضوان الله عليه بهذه المهمة و تمسكه بها واعتبارها قضيته العادلة في حديثه عنها من باب المسؤولية الحتمية التي لا عذر للتقصير والتفريط فيها فيقول رضوان الله عليه : (.... كلما تحدثنا عنه من تقصير وتفريط من جانب المسلمين باعتبار أن المسؤولية في مقام نصر دين الله، في نصر الله والدفاع عن دينه، والدفاع عن عباده المستضعفين والعمل على إعلاء كلمته، ومحاربة الفساد في الأرض، المفسدين في الأرض، هي مسؤولية كبرى على المسلمين جميعاً، وهي مسؤولية أكبر على العرب جميعاً، وهي مسؤولية أكبر وأكبر على

أهل البيت، على أهل البيت.) كما يشير بعد ذلك إلى التبعات الوخيمة للتقصير في حمل هذه القضية بل وحتى عدم استشعار أهميتها أو عدم إدراك حقيقتها فيقول: (لأنه ليس هناك فيك ما يشد الناس إليك، أنت لا تعمل على إعلاء كلمة الله، أنت لا تجاهد في سبيل الله والمستضعفين، أنت لا يلمس الناس فيك أنك حريص على هدايتهم، أنك حريص على إنقاذهم، أنك حريص على مصالحهم، أنك تبذل وقتك ومالك وجهدك ونفسك في خدمتهم. إذاً فما الذي يشدهم إليك؟)

قضية مشروعة

كانت حركة الشهيد القائد رضوان الله عليه منطلقة من منطلق الشرعية الإنسانية والدينية والوطنية ومبنية على ثوابت وقيم ومبادئ الفطرة السوية والإسلام المحمدي الأصيل، فالحرية والكرامة كاحتياجات بشرية لا يمكن تحققها إلا بالعبودية الكاملة المطلقة لله تعالى؛ لأنها وحدها التي تمنع استعباد البشر أو تعبيدهم لأمثالهم من الطغاة الظالمين، وهذا ما جاءت به ومن أجله رسالات الله وهذا أيضاً ما تضمنته القوانين البشرية الوضعية، ولذلك كان التحرك في سبيل ذلك والثورة في وجه من يحاول حرمان الإنسان من تلك الاحتياجات الفطرية أمراً مشروعاً بلا شك ولا جدال، وذلك ما يمنح التحرك قوة لا تقهر وعزيمة لا تهزم، كما أن تحرك الشهيد القائد رضوان الله عليه قد تميز عن غيره من التحركات بالإرث التاريخي والتراث الفكري القائم على مبدأ الثورة ضد الظالمين والصرخة في وجه المستكبرين ونصرة المستضعفين، وها هو يتحدث رضوان الله عليه عن ذلك بقوله "([الخروج على الظالم] من الذي توارثه جيلاً بعد جيل؟. من الذي كتبه بيده؟. هم الأئمة الذين حكموا، هم الذين كانوا يرون أن القضية ليست قضية مرتبطة بالزيدية، هي قضية قرآنية، أنه يجب أن تربى الأمة تربية جهادية في كل مراحلها، وفي ظل أي دولة كانت، فكانوا هم من ينطلقون ليربوا الناس تربية جهادية، تربية إيمانية متكاملة. هم.. لماذا؟ لأن هناك انسجاماً كاملاً بين أهل البيت والقرآن).

وهنا أيضاً نجد مدى الارتباط الوثيق بين الشهيد القائد رضوان الله عليه وبين المنهج

القرآني الذي سار عليه أسلافه من أعلام الهدى وأئمة الحق باعتباره النهج القويم والطريق الوحيد الذي يمنح الإنسان كل ما يستحقه من الحياة الكريمة ويجعل كل تحركاته في سبيل ذلك مشروعة بل ويرتقي ليصبح صاحب قضية و صانع مشروع.

ثانياً : منطلقات القضية

كانت انطلاقة الشهيد القائد رضوان الله عليه وتحركه المسؤول المبارك في سبيل قضيته المحقة والعادلة والمشروعة وفي إطار مشروعه القرآني بعد سنوات حافلة بالتجربة والعطاء اجتماعياً وثقافياً وعلمياً وسياسياً؛ فكم كانت شخصيته محط احترام وتقدير ومحل إجماع في محيطه المجتمعي الذي عرفه مغيثاً للملهوف وناصراً للمستضعف وجابراً للعاثر وحاضراً في الفرح والترح بنفسه أو بإحسانه، عرفه الجميع حكيماً حليماً رحيماً وحراً أبياً شجاعاً لا يخشى في الله لومة لائم.

كما كانت تربيته ونشأته بين يدي والده العلامة العلم العالم المجاهد بوابة دخوله مدائن العلم واقتحامه ميادين الجهاد حتى صار فيما بعد راعياً لطلبة العلم وحفياً بهم وداعماً للمدارس والدورات والأنشطة التي حفلت بها "مران" وغيرها وكانت "مدرسة الإمام الهادي" عليه السلام و"الشباب المؤمن" من أبرز محطات عطائه الثقافي.

كما نشط الشهيد القائد رضوان الله عليه سياسياً محاولاً من خلال العمل السياسي المتاح نسبياً آنذاك تحقيق أهدافه النبيلة؛ فأسس "حزب الحق" مع مجموعة من العلماء والمفكرين والشخصيات الوطنية النظيفة البعيدة عن مراكز النفوذ، وخاض من خلاله الانتخابات البرلمانية ليصبح عضواً في مجلس النواب ولكنه سرعان ما قدم استقالته عندما اقتنع بعدم جدوائية البقاء فيه، وأدرك الطبيعة الصورية لمهام المجلس والتي اقتصرت على شرعنة الفساد والظلم والاستبداد والارتهان للأعداء، كما كان لحرب صيف ٩٤م وموقفه الرافض والمستنكر لها دوراً في تركه للعمل السياسي الحزبي.

واقع الأمة

لم تجد كل الأعمال الاجتماعية والثقافية والسياسية التي قام بها الشهيد القائد رضوان

الله عليه طريقاً إلى الرضا النفسي والشعور الوجداني الداخلي بأداء المسؤولية الملقاة على عاتقه والقيام بالواجب الديني المفروض عليه، فوجد في نفسه رغبة في إكمال الدراسة الأكاديمية وكانت علوم القرآن غايته، ولكن هم الأمة التي ينتمي إليها وما آل إليه حالها استحوذا على قلبه واستأثرا بعقله وفكره فلم يكمل ما بدأه من الدراسة، وانقطع عن الناس متأملاً متفكراً في أمرها باحثاً لها عن مخرج وملتمساً لها سبيلاً للنجاة من الهلاك والانعتاق من الذل والاستبداد والاستعباد والانحطاط، ملازماً في كل ذلك لكتاب الله متتبعاً لآياته وسننه حتى صار قريناً له وحتى وجد من خلاله التشخيص الأولي لحال الأمة وأعصى مشكلاتها والمتمثلة بقوله رضوان الله عليه (لأننا ابتعدنا كثيراً كثيراً جداً عن القرآن الكريم، أي نحن بحاجة إلى كلام كثير وكثير وكثير حتى نتحرك أمام الخطر الذي قد وصل إلى داخل كل بيت. كأننا نلمس بالنسبة لكم – وهو الذي نرجو إن شاء الله لأنفسنا جميعاً – أن نكون قد فهمنا مسؤوليتنا أن يكون لنا موقف وأن نكون قد حصلنا على نسبة لا بأس بها من الوعي).

ثم إن الشهيد القائد رضوان الله عليه جدّ باحثاً عن سبب ذلك البعد اللامنطقي للأمة عن دستورها السماوي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي تؤمن يقيناً بأنه سبيل فلاحها ونجاحها وعزتها و كرامتها، فلم يجد سوى ذلك الانحراف القاتل والفاتك والضارب في جذور الأمه والذي عبر عنه بقوله رضوان الله عليه (الحقيقة: إذا تأمل الإنسان في واقع الناس يجد أننا ضحية عقائد باطلة، وثقافة مغلوطة جاءتنا من خارج الثقلين: كتاب الله، وعترة رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله)، هذا شيء. الشيء الآخر – وهو الأهم – أننا لم نثق بالله كما ينبغي، المسلمون يعيشون أزمة ثقة بالله).

استشعار المسؤولية

هز استهداف برجي التجارة العالمية في نيويورك أو ما عرف بأحداث الحادي عشر من سبتمبر جميع دول العالم، وتحدث الكثيرون عن أضراره وآثاره و منفذيه ودوافعهم وعن خطة التنفيذ وكيف نجحت؛ ولكن القليلون فقط تحدثوا عما سيترتب عليه، وعن الخطط

المعدة سلفاً لاستثماره، وعن المستهدفين الحقيقيين منه، و في تلك الأثناء طغى الحديث عن الإرهاب ولكن بلغة حائرة متخبطة عربياً وإسلامياً وبلغة عائمة مطاطة أمريكياً في توصيف الإرهاب وذلك تمهيداً لجعله سيفاً مسلطاً على رقاب الأمة الإسلامية، عندها كان الشهيد القائد رضوان الله عليه أحد أولئك القلة القلائل الذين تنبهوا لذلك الخطر واستشعروا المسؤولية العظيمة تجاهه، لينطلق من منطلق الثقافة القرآنية التي وجد فيها الملاذ الوحيد الآمن من هذا الخطر المحدق بالأمة والمحيط بها؛ فبدأ باستنهاض الهمم والاهتمام بأمر الأمة ونشر الوعي في أوساط الشباب لإحياء ملكة الشعور بالمسؤولية التي ظلت الأنظمة العربية العميلة تستهدفها وتحاول تغييبها فصرخ مستنهضاً لها قائلاً: (– أيها الإخوة – لنتذكر مسؤوليتنا جميعاً أمام الله في أن نكون من أنصار دينه) ثم انطلق محدداً ومشدداً على أبعاد تلك المسؤولية فقال رضوان الله عليه: (مسؤوليتنا التي أراد الله لنا أن نقاتلهم حتى يكونوا أذلاء صاغرين، من نصل بهم إلى درجة أن لا يفكروا أن يعملوا شيئاً ضد الإسلام والمسلمين.)

حتمية المواجهة وخيار التحرك

عندما قررت الولايات المتحدة الأمريكية غزو أفغانستان ثم قيامها بغزو العراق أو بالأصح احتلالهما بات الخطر المحدق المحتمل خطراً محققاً وواقعاً، فلم يكن من الشهيد القائد رضوان الله عليه سوى التحرك الجاد والعملي في مواجهة الاستكبار العالمي مطلقاً صرخته المدوية إيذاناً ببدء المواجهة التي باتت حتمية، وصار حتمياً خيار التحرك استعداداً للتصدي لها محذراً من مغبة التخاذل والتفريط بقوله: (أعتقد إذا لم ننطلق في مواجهة الباطل، في هذا الزمن فإننا من سنرى أنفسنا نساق جنوداً لأمريكا في ميادين الباطل في مواجهة الحق).

لقد كانت آيات القرآن الكريم هي المادة الأساسية في حملة التعبئة العامة التي انطلق فيها الشهيد القائد رضوان الله عليه فنجده هنا يتحدث عن الأسلوب القرآني في هذا المجال بقوله: (وسورة التوبة هي من أجمل السور في القرآن الكريم في مجال التعبئة العامة

للمسلمين في مواجهة أعدائهم – تناولت كل مواضيع المواجهة، أولئك الذين ينطلقون للتثبيط هاجمتهم مهاجمة قوية، توبيخ عنيف، سخرية منهم استهزاء بهم، تحطيم لمشاعرهم، وفعلاً الإنسان الذي يتجه إلى الحق، ويكون موقفه موقف حق لا تتوقع أن بإمكان الباطل أن يقف أمامك إلا إذا حصل تقصير من جانبك، أو أنت لم تهيئ نفسك بالشكل المناسب في أسلوبك، في تقديمك للحق بأن يكون بالشكل الذي يزهق الباطل).

لقد كان لإيمان الشهيد القائد رضوان الله عليه بسنن الله التي عايشها بين صفحات القرآن الكريم – الذي ظل خليله الذي لا يفارقه وقرينه الذي لا ينفصل عنه – أثراً بالغاً في تحركه الجاد والمسؤول في حمل قضية الحق، فحتمية المواجهة بين الحق والباطل سنة إلهية لابد منها، ولابد أيضاً من الاستعداد لها ابتداءً بوحدة الأمة التي دعي لها وتمنى تحقيقها وعبر عنها في قوله: ({ وَاعْتَصِمُوا} فيها [واو الجماعة] الذي يوحي باعتصام الجميع، ثم {جميعاً} تأكيد من جديد، {وَلا تَفَرَّقُوا} تأكيد من جديد بالنهي عن التفرق، ثلاث عبارات توحي بأهمية وحدة المسلمين، وحدة أي أمة تتحرك في مواجهة أعداء الله، وحدة تقوم على أساس الاعتصام بحبله، اعتصام جماعي بحبله.{وَاعْتَصِمُوا} [واو الجماعة] يفيد اعتصام جماعي {بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا} أليست هذه ثلاث عبارات؟.)

ختاماً

سيظل الشهيد القائد رضوان الله عليه شخصية استثنائية في زمن خلت فيه هذه الأمة من كل ما هو استثنائي وسيظل علامة فارقة في مسيرة تاريخ أوشك على الضياع في متاهات الطغيان والضلال، وستظل الأيام والسنوات تكشف للمارين بأحداثها عظمة وفرادة هذا القائد الشهيد الذي كان بحق "حسين العصر" و "قرين القرآن".

كما سيظل الحق في مواجهة قوى الاستكبار ورفض الهيمنة الأمريكية القضية العادلة لكل شعوب العالم ويظل المشروع القرآني البنائي والنهضوي هو السبيل الوحيد للدفاع عن القضية العادلة وسيظلان معاً عنواناً للمسيرة القرآنية التي بدأها الشهيد القائد وسار فيها السيد القائد ومن خلفهما حركة أنصار الله وكل المؤمنين الأحرار في هذا الوطن وهذه الأمة وكل العالم .